

الأساس فهي الطب النفسي الافتراضية الأساسية: الفصل الخامس:

## ملف اضطرابات الإرادة (17)

إرادة التصعيد بالوعي إلى الوعي المطلق: إلى ما بعده (1 من ..)

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD12415.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

[mokattampsy2002@hotmail.com](mailto:mokattampsy2002@hotmail.com) - [rakhawy@rakhawy.org](mailto:rakhawy@rakhawy.org)

نشرة "الإنسان والتطور" 2015/04/12

السنة الثامنة - العدد: 2781



### أنهت نشرة الأسبوع الماضي بسؤال يقول:

ما مدى تناسب هذه الفروض مع ثقافتنا الخاصة من واقع الممارسة؟

أريد أن اعتذر عن الرد المباشر السريع الآن على هذا السؤال لسبب شخصي عملي بسيط مهم، لا مانع عندي من أن أذكره:

يبدو أنني أستمد معالم ما أسميه "ثقافتنا الخاصة" من مرضى أساسا، ومن أهلهم أحيانا، ومن شخصي غالبا، ولا أظن أن أيا من ذلك يمكن أن أعم منه فأدعي أنه "ثقافتنا الخاصة".

حين رحلت أهم بكتاية هذه النشرة حدث أن عايشت خبرة عائلية مؤلمة خاصة، فقدنا فيها أحد كبار أفراد الأسرة بعد صراع قصير مع المرض، وكان في قد قارب التسعين فلم تكن مفاجأة جدا.

سمحت لي هذه الخبرة أن أحتك بمجموعات مختلفة من الناس الذين يمثلون ثقافتنا فعلا، أو أيضا، تتراوح المجموعة التي عايشتها من ثلاثة إلى عدة مئات، ورحلت بدون قصد أتأمل طقوسهم (طقوسنا) ومشاعرهم (مشاعرنا) وتفاعلاتهم (تفاعلاتنا) وتدينهم (تديننا) وإيمانهم (إيماننا)، وإلى درجة أقل أحاديثهم واهتماماتهم، وإذا بي أنتبه أنني بعيد عن كل هؤلاء بدرجة ليست قليلة، وإن لم يجعلني كل ذلك أعدل عن فروضي التي تجمعت لدي من خبراتي السالفة الذكر (ظهر كثيرا منها في هذه النشرات)، وخاصة من خلال خبرتي في العلاج الجمعي، مع جماعات متتالية من المتعالجين بالمجان أساسا في قسم الطب النفسي بقصر العيني، وهم ليسوا بعيدين تماما عن من عايشتهم أثناء هذه الخبرة الخاصة الأحدث التي أتحدث عنها حالا.

كان الجزء من الخبرة الأكثر إفاقة حين كان الخطيب يقول كلاما معادا لم أسمعه كله لصعوبة في سمعي، ولاحظت أن أكثر من تسعين بالمائة من المستمعين يطأطئون رؤوسهم بعد كل وقفة عند أية جملة، وأنا لا أفعل، وأكاد أشعر أنني أرفض ذلك بإرادتي، أو ربما لمجرد أنني لم أسمع جيدا، أو: لأنهم يصرون على هذه الحركة الآلية بتتابع شبه ميكانيكي لم تصلني منه أية إرادة!

يبدو أن الخبرة التي استلهمت منها فروضي السابق طرحها عن ثقافتنا، وعن تشكيلات الوعي المتصاعدة، وعن الإدراك الأشمل كوسيلة للكدم إلى وجه ربنا، هي خبرة متكاثفة عبر عشرات السنين، وقد توجت خبرتي في العلاج الجمعي مع مجموعات متتالية من أواسط ناسنا الفقراء أو متوسطي الحال جدا (حيث العلاج بالمجان، وفي مستشفى جامعي عام)، أرجعت الفرق الهائل بين هذه الخبرة الخاصة الأحدث، وتلك الخبرة المهنية الممتدة، إلى تركيزي المهني والشخصي على ما هو: "هنا والآن"، مع التنبيه إلى تجنب، أو على الأقل الإقلال من الأسئلة والنصائح، مقابل تنشيط "الشغل" فيما بيننا بديلا عن "النقاش" و"إبداء الآراء" ومناقشة "وجهات النظر"، تذكرت وأنا بين الجموع

حين رحلت أهم بكتاية هذه  
النشرة حدث أن عايشت  
خبرة عائلية مؤلمة خاصة،  
فقدنا فيها أحد كبار أفراد  
الأسرة بعد صراع قصير مع  
المرض

سمحت لي هذه الخبرة أن  
أحتك بمجموعات مختلفة من  
الناس الذين يمثلون ثقافتنا  
فعلا

رحلت بدون قصد أتأمل  
طقوسهم (طقوسنا) ومشاعرهم  
(مشاعرنا) وتفاعلاتهم  
(تفاعلاتنا) وتدينهم (تديننا)  
وإيمانهم (إيماننا)، وإلى  
درجة أقل أحاديثهم  
واهتماماتهم، وإذا بي أنتبه  
أنني بعيد عن كل هؤلاء  
بدرجة ليست قليلة

الغفيرة في هذه الخبرة الأحدث أننا في العلاج الجمعي لا نحني رؤوسنا لما يقال، عمال على بطال وإنما نواجه بعضنا البعض البعض وجها لوجه حالا (مرة ثانية: أنا وأنت ، هنا: الآن) ونتواصل، ونستحضر، ونشارك، ونتفاعل، فيحل الوعي البيئشخصي محل الكلمات أو معها (لم أكن أعرف ذلك أو أسميه قبلا!!)، ومنه يتخلق الوعي الجمعي ثم الوعي الجماعي فلا نحتاج أن نطأ رؤوسنا بعد الجمل التي تعجبنا أو المفروض أنها تعجبنا حتى لو لم نسمعها جيدا.

هذه المقارنة العشوائية التي فرضت نفسها وأنا أعد لكتابة هذه النشرة جعلتني أتساءل:

- ٧ أي الخبرتان أكثر تمثيلا لثقافتنا التي أزمع الحديث عنها؟
- ٧ أيهما أكثر فاعلية (العامل العلاجي) في مختلف أنواع العلاجات؟
- ٧ أيهما أكثر قربا إلى الفطرة البشرية (ربي كما خلقتني) وقوانين البقاء؟
- ٧ هل يصدر كلاهما من نفس المستوى من الوعي والإرادة؟

منعتُ نفسي أن أتحيز لخبرتي الخاصة على حساب ما وصلني من مئات الحضور في تلك الخبرة الحديثة التي أشرتُ إليها في بداية نشرة اليوم، ورجعت أتذكر بعض ما أعرف عن ما يشيع في ثقافتنا بين العامة البسطاء عن "العامل العلاجي" أيضا، وتساءلت من جديد:

٧ هل ما يدور على لسان مرضانا، وأهاليهم، وغيرهم من عامة الأصحاء البسطاء مثل قولهم: **الله هو الشافي، وإذا مرضت فهو يشفيني، الشفا من الله..** إلخ هل كل هذا ومثله له علاقة بما يتخلق بيننا أثناء العلاج الجمعي بالذات؟

٧ هل الحقيقة الأحدث في سلسلة إنجازات العلم المعرفي العصبي، (والنيورولوجيا البيولوجية) عن أن "المخ يعيد بناء نفسه" يقلل من دور الإرادة في عملية الشفاء أم أنه يوجهها إلى وجهة أكثر إيجابية؟

٧ هل القضية الفلسفية، والتاريخية والدينية للرد على السؤال "هل الإنسان مخير أو مسير" لها نصيب في ممارسة الطب النفسي

٧ ما علاقة كل ذلك بما سبق أن ناقشناه عن دور الإرادة في اختيار المرض، وبالذات اختيار الجنون (نشرة 7-13-2008 "زخم الطاقة، والإيقاع الحيوي، واختيار الجنون").

٧ وأخيرا: كيف نستفيد من تفاعل إرادة المعالج (الوسط) وإرادة المريض (والمرض) في عملية الشفاء في ظل هذه الصعوبات جميعا؟

### وبعد

اضطرت نتيجة هذه المفاجأة الخاصة جدا أن أرجع لبعض الإشارات التي أشرت لها في مواصفات العلاج الجمعي الذي هداني لما أسميه ثقافتنا، وهي التي أود أن أقدمها بأقل قدر من الوثائق، فأقتطف من نشرة سابقة ما أشك أنه وصل لأصحابه، فهو يميز بشكل شديد الوضوح الفرق بين تفاعلات تعتمد على تحريك الوعي البيئشخصي، فالوعي الجمعي، وبين الجدل الكلامي، والمناقشات المنطقية التي تسمى عادة حوارات، نحسب أنها دالة على الثقافة العامة في حين أنها لا تدل إلا على "الآراء المشتركة"،

الثقافة العامة هي غير الرأي العام، غير الرأي المشترك

يبدو أن الخبرة التي استلمت منها فروعى السابق طرحا عن ثقافتنا، وعن تشكيلات الوعي المتصاعدة، وعن الإدراك الأشمل كوسيلة للكدح إلى وجه ربنا، هي خبرة متكاثفة عبر عشرات السنين

أننا هي العلاج الجمعي لا نحني رؤوسنا لما يقال، عمال على بطال وإنما نواجه بعضنا البعض البعض وجها لوجه حالا (مرة ثانية: أنا وأنت ، هنا: الآن) ونتواصل، ونستحضر، ونشارك، ونتفاعل، فيحل الوعي البيئشخصي محل الكلمات أو معها ، ومنه يتخلق الوعي الجمعي ثم الوعي الجماعي

هل الحقيقة الأحدث هي سلسلة إنجازات العلم المعرفي العصبي، (والنيورولوجيا البيولوجية) عن أن "المخ يعيد بناء نفسه" يقلل من دور

الإراحة في عملية الشفاء أم أنه يوجهها إلى وجهة أكثر إيجابية؟

في العلاج الجمعي حاولت أن أقدم ما يجرى بأن أبدأ بنفى ما يتصوره العامة عنه، مع أنه أصل تكوين الوعي الجمعي، حتى بعيدا عن وصاية ما يسمى علاجا، وأسمح لنفسى أن أعيد بعض ما يمكن أن يظهر الفروق الشديدة للدلالة:

أفضل أن أعدد طبيعة الاختلاف من خلال نفى المتوقع، ويشمل هذا النفي أن هذه الخبرة الواقعية في العلاج الجمعي:

1- ليست حوارا بين عقليين منطقيين أو أكثر،

2 - ولا هي مناقشة بين رأيين.

3 - ولا هي مناظرة بين وجهات نظر.

4- ولا هي قواعد عامة وصفية أو تطبيقية يطلقها المشارك باعتبارها رأيه في عامة الناس مثلا اس/الواحد/ماهو أصل...الخ).

5 - ولا هي حديث عن من "هو" (ضمير الغائب) إلا بمقدار ما هو مقدمة لإحضاره في "هنا" "الآن" ("وعى الآن").

6 - ولا هي صفقة دفاعات (ميكانزمات) تبريرية (عادة) متبادلة.

7 - ولا هي نصائح (فوقية عادة، من المعالج أو غيره، مؤجلٌ تطبيقها)

8 - ولا هي حكمٌ وأمثال (حتى لو كانت مناسبة) إلا انطلاقا منها إلى ما هو "هنا والآن".

9 - ولا هي تصحيح مباشر لأخطاء معرفية عن النفس، في الصحة والمرض، (ولا عموما).

10 - ولا هي "إثبت لي" و"أثبت لك".

11 - ولا هي تفريغ للإراحة والتنفيث: "أطلع اللي جوابا".

12 - ولا هي وعودٌ مؤجلة، لا وعد بالشفاء يصدره المعالج، ولا وعد من المشاركين مثلا تمرار المشاركة إلخ.

13 - ولا هي تعبير مباشر عن عواطف ساخنة (أو دافئة) أو رافضة.

14 - ولا هي إرشادات عن حدود الحلال والحرام، أو الصواب والخطأ

15 - ولا هي حديث عن أحلام أو آمال مثالية مؤجلة.

16 - ولا هي توجيه لفاعل معين إلا في حدود القواعد، أو كشرط لمواصلة الحضور مع الالتزام لارسة علاقة ما بالواقع (العمل-الدراسة مثلا)

17 - ولا هي ترجية وقت.

18 - ولا هي مقياس لألمعية ذكاء المشاركين

19 - ولا هي تصفيق لقائد.

20 - ولا هي إثبات للذات.

طيب بالله عليكم كيف تكون كل هذه اللبسات هكذا، وأتصور أنها تمثل ثقافتنا؟

بصراحة أنا استلهمت عمق ثقافتنا مما انكشف لي من الوعي الجماعي وليس بشكل مباشر،

أن هذه الخبرة الواقعية في العلاج الجمعي ليست حوارا بين عقليين منطقيين أو أكثر.

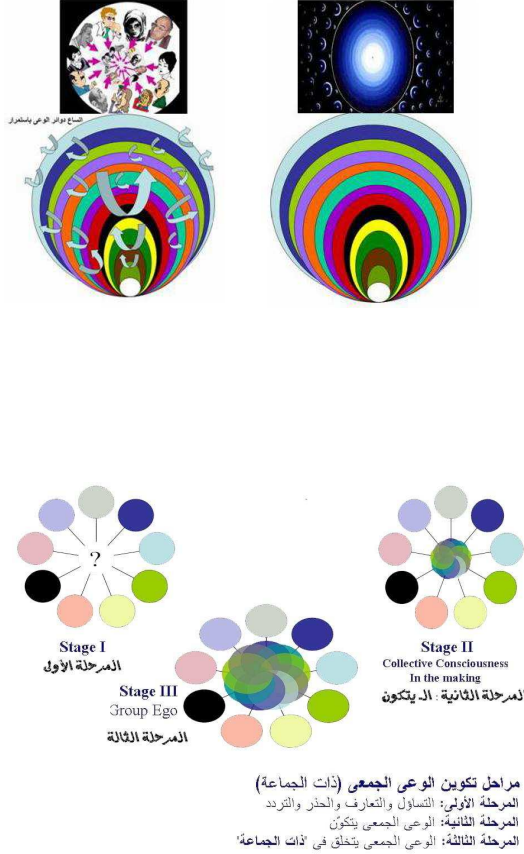
بصراحة أنا استلهمت عمق ثقافتنا مما انكشف لي من الوعي الجماعي وليس بشكل مباشر، بمعنى أنني لم أزعج أن ما يجرى في العلاج الجمعي هو ثقافتنا

ما يجرى في العلاج الجمعي، وهو توضيح علاقة الوعي الجمعي بتعديلات الوعي إلى الوعي المطلق إلى الوعي الكوني إلى وجه الله

بمعنى أننى لم أزعم أن ما يجرى فى العلاج الجمعى هو ثقافتنا.

### وبعد

سوف أكتفى اليوم بعرض بعض الأشكال التى سوف أبدأ بها غدا رسم العلاقة بين الوعى والإرادة ومعالم ثقافتنا، أعرضها دون تعليق مفصل، وقد شكلتها مما وصلنى وحاولت استيعابه عما يجرى من تصعيد الوعى البشرى تدريجيا إلى غايته المطلقة بشكل أو بآخر:



### المرحلة الرابعة: وما بعدها: (أنظر بعد).

### وبعد

أنا أقدم هذه الأشكال اليوم لسبب آخر غير توضيح ما يجرى فى العلاج الجمعى، وهو توضيح علاقة الوعى الجمعى بتصعيدات الوعى إلى الوعى المطلق إلى الوعى الكونى إلى وجه الله الذى أريد أن أقدمه متجنباً أى منطلق دينى تراثى، أو رأى ثابت عقائدى، هو أن ثقافتنا الأصل تنتمى إلى هذا التصعيد لمستويات الوعى بشكل تلقائى بسيط، يتمثل أحيانا فى عادات فطرية أو تقاليد شعبية أصيلة، كما يتمثل فى تسهيل وتدعيم نوع من الترابط بين الناس أبعد وأشمل من العلاقات الشيزيدية المغلقة المستورد أغلبها، وهى التى تتحكم فيها الألفاظ والأوراق والمؤسسات الحاكمة المُحَكِّمَة.

حضور الله انطلاقاً من الوعى الشخصى إلى الـ بينشخصى إلى الوعى الجمعى فى ثقافتنا - وبرغم تزايد جرعات التقليد التى شوهتنا حتى المسخ - ما زال مرتبط بالوعى الجمعى الشعبى، فالوعى الجماعى الإنسانى، وأعتقد أن هذا يغير مفاهيم كثيرة بعيداً عن الترهيب والترغيب، مفاهيم لها علاقة جذرية بعملية الشفاء التى نتحدث عنها، شريطة أن يبدأ حديثنا، وتتطلق خبرتنا من "هنا"

الذى أريد أن أقدمه متجنباً أى منطلق دينى تراثى، أو رأى ثابت عقائدى، هو أن ثقافتنا الأصل تنتمى إلى هذا التصعيد لمستويات الوعى بشكل تلقائى بسيط

حضور الله انطلاقاً من الوعى الشخصى إلى الـ بينشخصى إلى الوعى الجمعى فى ثقافتنا - وبرغم تزايد جرعات التقليد التى شوهتنا حتى المسخ - ما زال مرتبط بالوعى الجمعى الشعبى، فالوعى الجماعى الإنسانى

من يريد أن يرمى ويواصل حياته والله معه وفيه وبه وهو إليه وإلى الناس وبالناس انطلاقاً من "هنا والآن" إلى المابعد، فليجعل

و"الآن" جدا ودائما، إلى غيب حاضر حضور الشهادة لأنه وعى أيضا.

وهذا ما أخشى أن اخوض فيه فعلا

وفى نفس الوقت هو ما أجد لزاما على أن أوصله لأصحابه البشر: إليه،

ومن يريد أن يرعى ويواصل حياته والله معه وفيه وبه وهو إليه وإلى الناس وبالناس انطلاقا من

"هنا والآن" إلى المابعد، فليفعل

وكذلك فإن من يريد أن ينكر هذه الحقيقة، أو يسميها بأسماء علمية أو اغترابية، أو مستعارة

فليفعل، سواء كان ذلك بناء عن ثقافته المختلفة، أو اختناقا بأيديولوجيته الجائمة.

لكن سوف تظل مسئولية الوعي، والوعي بالوعي، هي حقائق بالغة الدلالة بالغة الأهمية في

مجالنا هذا، لغرضنا هذا: الرجوع بالإنسان، المريض أولا، إلى ما خلقه الله به وله، مستعملين كل

إنجازات العلم، وإيجابيات الوعي الشخصي، والبيئشخصي، وإبداعات التطور والتشكيل، وإعادة بناء

المخ لنفسه باستمرار، لنواصل الاستماع إلى همس ثقافتنا من واقع ممارستنا وموضوعية نتائجنا مهما

أعجزتنا اللغة الحالية.

هذا علما بأنها ليست ثقافة متميزة جدا عن غيرها،

وإنما أنا أتكلم انطلاقا مما يصلني من ثقافتى وقبل أن تُشوّه، وأنا واثق أن ما يصلني يصل

لغيرى من ثقافات أخرى، ولو بأسماء أخرى.

\*\*\* \*\*

## نشرات الإنسان و التطور - اصدار حسب الماوير

أ.د. يحيى الرخاوي

خريف 2013 / شتاء 2014

"الإدراك... قراءة من منظور تطوري"

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter14.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter14.pdf)  
[www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter14.rar](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter14.rar)

خريف / شتاء 2012 - 2013

"في تجليات ما هو صوت"

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter13.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter13.pdf)  
[www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter13.exe](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter13.exe)

ربيع - صيف 2012

"اللقاء... قراءة من منظور تطوري"

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookSpring&Summer12.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookSpring&Summer12.pdf)  
[www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookSpring&Summer12.exe](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookSpring&Summer12.exe)

اصدار شتاء 2012

من دما يتعري الإنسان

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookWinter12.pdf](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookWinter12.pdf)  
[www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookWinter12.exe](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookWinter12.exe)

\*\*\* \*\*

دليل نشرات " الإنسان و التطور "

<http://www.rakhawy.org>

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/IndexRakAr.htm](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/IndexRakAr.htm)

من يريد أن ينكر هذه الحقيقة، أو يسميها بأسماء علمية أو اغترابية، أو مستعارة فليفعل، سواء كان ذلك بناء عن ثقافته المختلفة، أو اختناقا بأيديولوجيته الجائمة

سوف تظل مسئولية الوعي، والوعي بالوعي، هي حقائق بالغة الدلالة بالغة الأهمية في مجالنا هذا، لغرضنا هذا: الرجوع بالإنسان، المريض أولا، إلى ما خلقه الله به وله